

## تفسير البحر المحيط

@ 518 فقال في قصة أوليائه : { وَ مَا كَانَ لِيَ عَ لَ اِيْ كُمْ مِّنْ سُلْ طَ اَنٍ اِ لَّا اَن دَعَا وُ تُوْ كُمْ فَ اَسْتَجِ بْتُمْ لِي } وقيل : المراد بالسلطان الحجة ، وظاهر الإخبار انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقاً . وقيل : ليس له عليهم سلطان لاستعادتهم منه . وقيل : ليس له قدرة أن يحملهم على ذنب ، والضمير في به عائد على بهم ، وقيل : على الشيطان ، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر والمعنى : والذين هم بإشراكهم إبليس مشركون با ، أو تكون الباء للسبية ، والأمر بالاستعادة يقتضي أنها تصرف كيد الشيطان ، كأنها متضمنة التوكل على ا ، والانقطاع إليه . .

ولما ذكر تعالى إنزال الكتاب نبينا لكل شيء ، وأمر بالاستعادة ند قراءته ، ذكر تعالى نتيجة ولاية الشيطان لأوليائه المشركين ، وما يلقيه إليهم من الأباطيل ، فألقى إليهم إنكار النسخ لما رأوا تبديل آية مكان آية . وتقدم الكلام في النسخ في البقرة . والظاهر أن هذا التبديل رفع آية لفظاً ومعنى ، ويجوز أن يكون التبديل لحكم المعنى وإبقاء اللفظ . ووجد الكفار بذلك طعناً في الدين ، وما علموا أن المصالح تختلف باختلاف الأوقات والأشخاص ، وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة . وأخبر تعالى أنه العالم بما ينزل لا أنتم ، وما ينزل مما يقره وما يرفعه ، فمرجع علم ذلك إليه ، وهو على حسب الحوادث والمصالح ، وهذه حكمة إنزاله شيئاً فشيئاً ، وهذه الجملة اعتراض بين الشرط وجوابه . قيل : ويحتمل أن يكون حالاً . وبالغوا في نسبة الافتراء للرسول بلفظ إنما ، وبمواجهة الخطاب ، وباسم الفاعل الدال على الثبوت ، وقال : بل أكثرهم ، لأن بعضهم يعلم ويكفر عناداً . ومفعول لا يعلمون محذوف لدلالة المعنى عليه أي : لا يعلمون أن الشرائع حكم ومصالح . هذه الآية دلت على وقوع نسخ القرآن بالقرآن . وروح القدس : هنا هو جبريل عليه السلام بلا خلاف ، وتقدم لم سمي روح القدس . وأضاف الرب إلى كاف الخطاب تشريفاً للرسول صلى ا عليه وسلم ) باختصاص الإضافة ، وإعراضاً عنهم ، إذ لم يصف إليهم . وبالحق حال أي : ملتبساً بالحق سواء كان ناسخاً أو منسوخاً ، فكله مصحوب بالحق لا يعتريه شيء من الباطل . وليثبت معناه أنهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نسخ ، بل النسخ مثبت لهم على إيمانهم ، لعلمهم أنه جميعه من عند ا ، لصحة إيمانهم واطمئنان قلوبهم يعلمون أنه حكيم ، وأن أفعاله كلها صادرة عن حكمة ، فهي صواب كلها . ودل اختصاص التعليل بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقائدهم وضلالهم . وقرء : ليثبت مخففاً من أثبت . قال الزمخشري : وهدي وبشري مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت

انتهى . وتقدم الرد عليه في نحو هذا ، وهو قوله : { لِيَتَّبِعِينَ لَدَهُمُ الذِّكْرَ }  
اخْتَلَفُوا فِيهِ { وهدى ورحمة في هذه السورة . ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسب من  
أن والفعل ، لأنه مجرور ، فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما تقول : جئت لأحسن إلى زيد وإكرام  
لخالد ، إذ التقدير : لإحسان إلى زيد . وأجاز أبو البقاء أن يكون ارتفاع هدى وبشرى على  
إضمار مبتدأ أي : وهو هدى وبشرى . ولما نسبوه عليه السلام للافتراء وهو الكذب على الله ،  
لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه هو من تعليم بشر إياه ، فليس هو  
المختر بل المخترع غيره ، وهو ناقل عنه . وظاهر قولهم : إنما أنت مفتر . إن معناه :  
مختلف الكذب ، وهو ينافي التعلم من البشر ، فيحتمل أن يكون قوله : مفتر ، في نسبة ذلك  
إلى الله ، ويحتمل أن يكونوا فيه طائفتين : طائفة ذهبت إلى أنه هو المفتر ، وطائفة أنه  
يتعلم من البشر . ويعلم مضارع اللفظ ومعناه : المضي أي : ولقد علمنا ، وجاء إسناد  
التعليم إلى مبهم لم يعين . ف قيل : هو حبر غلام ورمى كان لعامر بن الحضرمي ، وقيل :  
عائش أو يعيش ، وكان صاحب كتب مولى حويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم فحسن إسلامه قاله :  
الفراء ، والزجاج . وقيل : أبو فكيهة أعجمي مولى لمرأة بمكة . قيل : واسمه يسار وكان  
يهودياً قاله : مقاتل ، وابن جبير ، إلا أنه لم يقل كان يهودياً . وقال ابن زيد : كان  
رجلاً حداداً نصرانياً اسمه عنس . وقال حصين بن عبد الله بن مسلم : كان لنا غلامان  
نصرانيان من أهل عين التمر ، يسار وحبر ، كانا يقرآن كتباً لهما بلسانهم ، وكان صلى  
الله عليه وسلم ) يمر بهما فيسمع قراءتهما . قيل : وكانا حدادين يصنعان السيوف ، فقال  
المشركون : يتعلم منهما فليل لأحدهما ذلك